وباء فاق وباء
الإنفوديميك فى ظل الكورونا

إعداد

أ.د. منال عبدالخالق

أستاذ الصحة النفسية بكلية التربية ببنها

مقـــدمـــــة:

مع مطلع ٢٠٢٠ تزامن الإعلان عن وباء كورونا مع انتشار وباء آخر أطلقت عليه منظمة الصحة العالمية وباء المعلومات "Infodemic " واعتبرته استثناءً من حيث أنه لم يحدث من قبل عبر تاريخ الإنسانية وأزمنة الأوبئة.

وكما ضرب وباء "كورونا" الصحة فى مقتل ضرب وباء المعلومات مانعرفه عن الدقة والعمق وتجنب الإثارة فى مقتل، وأعاد للأذهان ماعرفه العالم فى العام ١٨٣٥ من فبركة علمية كان مفادها مانشره الصحفى ريتشارد آدامز عن سفر عالم الفلك الشهير جون هيرشل إلى جنوب أفريقيا واستخدامه تليسكوبا ضخما اكتشف من خلاله وجود خفافيش تجمع الفاكهة على سطح القمر ومعبدا كاملا من الياقوت ومخلوقات زرقاء تشبه الماعز.

هل كانت تلك معلومات مستوفاة أم كانت قصة مضللة تشبه مايعيشه العالم اليوم مع انتشار كثير من الخرافات والمغالطات المرتبطة بفيروس كورونا ومن أمثلتها الحديث عن نظرية مؤامرة مرتبطة بمؤسسة جيتس أو غيرها من أنظمة بيئية تآمرية، وأن استخدام الأشعة فوق البنفسجية لتعقيم اليدين وشرب السوائل والأعشاب وتناول الثوم يقى من الإصابة بالفيروس، وأهمية عدم تسلم طرود من بلدان يتفشى بها الوباء مخافة الإصابة، وأن شرب الكحوليات أو حرارة الصيف يقتل الفيروس، وأن الوباء عقاب إلهى، لا بل إنه سلاح بيولوجى عالمى، وأنه ينتقل عبر الهواء، وانتشار المعلومات الخاطئة التى نجم عنها الاحتجاج على دفن طبيبة توفت بعد الإصابة خوفا من نشر العدوى، والأخبار المحرفة عن عدد المتبرعين ببلازما الدم الذى فاق عدد الإصابات الإجمالى وليس عدد المتعافين فقط، والأخرى عن أن حامل الفيروس من غير أعراض لاينقل العدوى، وغيرها مما أحدث بلبلة وتشككا كبيرين.

هذا الذى عشناه على مدار نصف عام حتى الآن لم يخبره العالم فى أزمنة الأوبئة والجوائح سابقا، فهل كان العالم يملك هذا الأسطول الضخم من وسائل التنقل برا وجوا وبحرا، والذى سرع من تفشى الوباء، وهل كان يملك هذا المجال الضخم من منصات التواصل الإلكترونية التى صنعت وباء معلوماتيا استدعى قيام الفرق المسئولة عن مخاطر التواصل التقنى ومقرها جنيف اطلاق عديد من برامج التصدى والمجابهة.

لقد كان تفشى وباء المعلومات أسرع وتيرة من تفشى الفيروس ذاته، فمعظمنا شغوف بجمع المعلومات والوقوف على أحدثها، لكننا لسنا على نفس درجة الشغف بالتدقيق فيها، وأصبحت الحاجة إلى لقاح "الثقة" أكثر إلحاحا من الحاجة إلى "لقاح الفيروس"، الثقة فيما بيننا وفى بعضنا

البعض، الثقة فى حقوق الانسان والاحترام المتبادل وبخاصة بعد أن تراجعت آليات فرض العولمة، وانكفأت المجتمعات على نفسها وأغلقت مطاراتها وبوابات الدخول عبر حدودها.

وعبر تقارير متلفزة ومنشورات مواقع التواصل عرفنا أن الملايين فقدوا وظائفهم، وأن ملايين أصيبوا، وأن مئات الآلاف قد قضوا حتفهم، لقد مكثنا وحدنا بالمنزل، ننظر إلى صور الشوارع الخالية إلا من بعض أشخاص يرتدون الأقنعة، وأصبحت مهمة الذهاب إلى التسوق تجربة حية تخبرنا كيف أصبح الموقف معقدا إلى درجة كبيرة، لقد عرفنا كيف تغير العالم وكيف تغيرت الحياة.

هل نحن خائفون؟ هل نحن مذعورون؟ هل نحن مكتئبون؟ هل نشعر بالتهديد، أم أننا واثقون أن الازمة ستمر؟ إن لسان الحال يقول أننا كل هؤلاء، نتابع أخبار الوباء ونجمع المعلومات عن الفيروس، وعن علاج المتاعب الناجمة عن العدوى به، ولكننا فى ذات الوقت ننشر وباء معلوماتيا لأن الساحة تعج بأخبار مغلوطة أو زائفة، ناهيكم عن مستشفيات متنقلة تنشر بروتوكولات علاجية و وقائية نجم عنها التكالب على شراء الأدوية، يصدرها نجوم صفحات الإنترنت ومحبو الشهرة أحيانا، الذين يمنحون أنفسهم ألقابا يصادق عليها جمهور المتابعين، فلديهم علم لايسعهم كتمانه، وهم يقدمون للبشرية خدمات لم تكن تتوقعها، وعلى الجانب الآخر نجد آخرين من حسنى النية والبسطاء الذين يخافون كتمان أى معلومة مهما كانت محدودة أو على غير أساس علمى، وغيرها من أشكال الهراء الذى قد يذهب إلى تعريض حياة الناس للخطر، وكلما تناقلنا معلومة نسأل بعضنا: مامصدرها؟ ثم وقبل أن نتلقى الإجابة نعيد نشرها، وهكذا دواليك.

لقد أخبرنى هاتفى أننى قضيت على شاشته معدل تسعة أيام فى الأسبوع مدة شهور الحظر، إشارة إلى الاستخدام المفرط للهاتف المحمول بحثا عن معلومة أو خبر أو اكتشاف جديد يتعلق بالوباء، بل لقد ذهب حوالى ١٤٪ من ما مجموعه ثلثى الراشدين فى الولايات المتحدة الأمريكية إلى تغيير رأيهم حول اعتبار اساءة استخدام الهاتف المحمول إدمانا، وساهمنا جميعا فى نشر وباء المعلومات قصدا وإصرارا.

إذا كان وباء الكورونا عدوا كشر عن أنيابه ووضع حدا لكثير من الأمور التى كان مسلما قبولها، ومن بينها على وجه الخصوص ماينبغى علينا فعله إزاء قدرتنا على التمييز بين الحقائق

والأوهام باعتبارها سلاحنا فى معركة المقاومة والحد من انتشاره، فإن وباء المعلومات عدو لايقل خطرا وينبغى التصدى له بالمثل.

فماهو وباء المعلومات وماهى صوره ؟

وباء المعلومات هو استثمار فى الخوف والرعب والتهويل والقلق على أغلى مايملكه البشر وهى الحياة ، وانعكاس للتضارب بين مشاعر الأمل فى النجاة والسلامة وحماية النفس وتأمينها، وبين الرغبة فى تقليل الحذر ورفض التشكك فى المنظومة الصحية والمؤسسات الطبية، ترقبا لأمل قريب فى علاج أو لقاح للفيروس القاتل.

وباء المعلومات هو كم كبير من المعلومات حول مشكلة ما يجعل من الصعب تحديد حل لها، فوضى معلومات تنتشر دون انحسار، تشويش وتضارب وغموض وتخبط، تضليل واستغلال للأزمة، وتوجيه لوعى الأفراد إلى وجهة معينة.

وباء المعلومات هو تنمر عنصرى تجاه مجتمعات أو مجموعات بعينها ناتج عن تجهيل معلوماتى بأنها هى مصدر الوباء، وأحكام جائرة أو غير جائرة إزاء صورة ذهنية عنها ترتبط بالفيروسات والأمراض.

وباء المعلومات هو أكاذيب تنشر الوصم على نطاق واسع عن أماكن السفر والأعراض الصحية التى تنجم عن التواجد فيها ومخاوف من اجراءات حكومية تجاهها.

وباء المعلومات هو فقد الثقة فى الحكومات ونظريات مؤامرة وحملات سياسية وإعلانات حقوقية وتجارية وأسواق أسهم متخبطة.

وباء المعلومات هو كم من الافتراضات حول "ماذا لو" وتحت هذا السؤال سيل من الدعاوى والإدعاءات، وكم من الأكاذيب يتم نشره، ثم يحدث تداول فى توال خوارزمى حول أهم الموضوعات وأبرز العناوين .

وباء المعلومات هو انتشار لمعلومات مغلوطة وزائفة، ثم معلومات أخرى حول تلك المعلومات، وهكذا دواليك... إنه تعويل على وعى شعب لايمكنه تقييم الحقائق، ويقابل كل ذلك رد فعل رسمى غير مواكب.

وباء المعلومات هو جهات فاعلة ذات أهداف تقوم بتوظيف نشر المعلومات وإرسال الأخبار والرسائل للتأسيس لموقف محدد وخلق حالة من عدم اليقين أو مجرد اقناع الأفراد بمبدأ ما.

وباء المعلومات فى ظل وباء كورونا هو دائرة خلط حول محاور أربعة : الفيروس نفسه وطرق انتقاله وعلاج المرض الناتج عنه، ومن قبل ذلك الوقاية من الإصابة بالعدوى، ورد الفعل الحكومى أو الرسمى إزاء الوباء بما يشمله من سياسات وبرامج وإجراءات وقرارات، ثم تداول للمعلومات على نحو زائف أو مضلل أو محرف أو موجه لتوصيل رسالة محددة، وأخيرا التناقض والخلط والتضارب بشكل عام حول كل ذلك.

وباء المعلومات هو عدم اليقين إزاء مستقبل الأحداث مرتبطا بما تم اتخاذه من قبل معظم حكومات العالم من إجراءات تباعد مكانى ودعوات للبقاء بالمنزل وقيود الإغلاق وتعليق الأنشطة، وارتباط ذلك كله بأزمة اقتصادية ضاغطة تضيق حلقاتها يوما بعد يوم، وما تلا ذلك من ابتداع أنشطة ترفيه بعضها غير هادف أو غير ذى مضمون للتقليل من شعور القلق والتوتر وأعراض الاكتئاب، وعلى التوازى استمرارية فى مجموعات ودوائر العمل والدراسة والتدريب عبر وسائل تكنولوجية متاحة، وفى خضم كل ذلك طور الكثيرون اضطرابات نفسية واختلالات سلوكية واضطرابات نوم وأكل ومشاحنات أسرية، ثم اكتمال دائرة الخطر بعد قرار رفع الحظر وتساؤلات ملحة عن منطق وجدوى القرار فى مقابل الرهان على وعى الأفراد الذى كان وسيظل اختبارا مفتوح المدة.

وفى أوقات الأزمات تلك تبرز أسئلة ملحة ويتطلب الأمر إجابات فورية، والمشكلة هى أن ذلك لايحدث بالسرعة المطلوبة، ففى زمن الإنترنت لايكون الوقت كافيا لتحليل المعلومات وتقييمها فى نفس الوقت الذى يتم فيه تكرار تداولها وانتشارها عبر مواقع التواصل وغيرها من منصات الكترونية، مع ميل الأفراد إلى تصديق مايتسق مع معتقداتهم أو آرائهم السابقة ورفض ماهو عكس ذلك.

تحتاج المجتمعات فى أزمنة الأوبئة الى نظم عالمية لتداول المعلومات وتأتى شركات الاتصالات ومواقع التواصل فى الصدارة، وعلى الحكومات والمؤسسات أن تتكاتف مع هذه المنصات لتقرر هل هى مسار آمن فى مكافحة الوباء أم هى عكس ذلك، ولنعلم من يمكننا أن نمنحه الثقة.

بعد كل ماسبق، هل تتفق معى أن مانواجهه من وباء معلومات على هذا النحو يمثل أزمة كبيرة ترتبط بالجانب الصحى العالمى مثلها مثل أزمة وباء كورونا، وأنه يجب اتخاذ التدابير اللازمة لمواجهة هذا الوباء كما ذكر الأمين العام لمنظمة الصحة العالمية.

كيفية مواجهة الوباء :

بينما يقلب الفيروس حياة الناس رأسا على عقب، يتأكد العالم يوما بعد يوم أنه لن يعود إلى ماكان عليه، وأنه ينبغى العمل على الوقوف على معلومات موثقة عن سبل السلامة والنجاة ومساعدة الآخرين للتعافى من الأزمة.

وإذا كان وباء كورونا نتاج تخليق معملى أو كان غير ذلك، فلاشك أن وباء المعلومات هو من صنع الانسان، وينبغى العمل على الحد منه، والحرص على ضمان حصول كل فرد على المعلومات من مصدر موثوق وموقع معتمد، ومنها على سبيل المثال مواقع ال "WHO" و "CDC" و "NHS" ، ومواقع وزارات الصحة بالبلدان التى تتصدى للوباء .

ومن أجل التغلب على هذه الأزمة تم الإعلان من جانب الأمم المتحدة عن مبادرة لغمر الإنترنت بالحقائق والمعلومات التى تحمى الأرواح من خطر الوبائين معا، وتمت إضافة قسم "busters Myth" لتصحيح المفاهيم المغلوطة وبخاصة على صفحات الإنترنت، فليس معقولا أن يتحول العالم الافتراضى الذى نعيش فيه إلى ساحة للمتاجرة بآلامنا نتنازل فيها عن آمالنا فى ترياق لجائحة المعلومات المضللة وترياق لكوفيد -١٩.

وفى سياق ذلك تم اتخاذ مايلى من تدابير:

- دعوة منظمة الصحة العالمية بالتعاون مع الاتحاد الدولى للاتصالات وبدعم من اليونيسيف إلى تسخير كافة قدرات وامكانات التكنولوجيا عبر شركات الاتصالات للحصول على المعلومات اللازمة لمساعدة الأفراد وإنقاذ الأرواح.
- اطلاق منظمة الصحة العالمية بالشراكة مع شركات الاتصالات ومواقع التواصل منصات دردشة وخدمات رسائل تفاعلية عبر الهواتف المحمولة بلغات عدة لنشر التوجيهات الحاسمة حول الوباء.
- اصدار منظمة الصحة العالمية تقارير موجزة لتقييم المعلومات المتداولة والموثقة حول الوباء وذلك من خلال الربط بين الصحف ومحطات الإذاعة وشبكات الإنترنت ووسائل الإعلام المجتمعية وسلطات إدارة الكوارث وجهات تمكين الصحفيين، هذا الى جانب مجهودات استنفار المجتمع المدنى ومنظماته المعتمدة فى التصدى لوباء المعلومات على مستوى العالم.

- اعلان مفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الانسان وعبر منصة الأمم المتحدة المخصصة ل "كوفيد -١٩" أن التقارير الإعلامية الموثوقة والدقيقة هى شريان الحياة للجميع وأن أى تصريحات عدائية أو اجراءات تقييد للمعلومات تقوض من جهود تعزيز الوعى العالمى زمن الوباء.
- اطلاق حملات التوعية بمشاركة صندوق الأمم المتحدة للسكان فى مصر حركة "Action Verified" ينظمها مستجيبون رقميون يراجعون محتوى مواقع التواصل ويدحضون المعلومات الخاطئة بالحقائق الموثوق فيها، ويقدمون المساعدة لمنع نشر وتداول الأخبار الخاطئة، كما ويعملون على تقديم النصائح للأفراد والشركات للتأكيد على خطورة المرض وأهمية القضاء على الوبائين معا.
- استخدام الFacebook" مقياسا عالميا لمراجعة الحكم على المعلومات المتداولة وتصحيح المنشورات، بحيث يولى المصادر ذات الثقة الأسبقية فى نشر بياناتها مثل ال WHO ، وغيرها من المؤسسات الوطنية.
- التحقق من المصدر الأصلى لكل خبر وقصة وصورة وفيديو وعمل المقارنات من خلال مراسلة الناشر وتحديد موقعه الجغرافى وفحص البيانات الوصفية عكسيا وغيرها.

المراجع:

١- عبدالعزيز معتوق حسنين(٢٠٢٠). وباء المعلومات أشد فتكا من الأمراض.WWW. al-madina.com

2-Hu,Z.,Li,Q.&H.Z.Y.(2020).Infodemiological study on COVID-19 epidemic and COVID-19 infodemic.WWW.reseachsquare

3-Kiraly,O,Potenza,M.N.,&Stein,D.J.(2020) Preventing problematic internet use during the COVID-19 pandemic: Consensus guidance.Comprehensive Psychiatry,Volume 100, July 2020, 15218